الفصل والوصل

من أسرار البلاغة العلم بمواطن الوصل والفصل في الكلام، أو بعبارة أخرى العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، والإتيان بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى.

وإدراك مواطن الوصل والفصل في الكلام لا تتأتى إلا للعرب الخلّص لأن اللغة لغتهم وهم ينطقون بها عن سليقة، كما لا تتأتى إلا لمن طبعوا على البلاغة وأوتوا حظا من المعرفة في ذوق الكلام.

وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: «البلاغة معرفة الفصل من الوصل»، وذلك لغموض هذا الباب ودقة مسلكه، ولأن من يكمل له إحراز الفضيلة فيه يكمل له إحراز سائر معاني البلاغة.

«**الوصل**» عطف جملة على أخرى «بالواو» فقط دون سائر حروف العطف الأخرى، كقول المتنبي:

أعزّ مكان في الدّنا سرج سابح * وخير جليس في الزمان كتاب**[1]

و«**الفصل**» ترك هذا العطف، كقول الشاعر:

عادة الأيام لا أنكرها * فرح تقرنه لي بترح**

وقد قصر علماء المعاني عنايتهم في هذا الباب على البحث في عطف الجمل «بالواو» دون بقية حروف العطف، لأن «الواو» هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها ويتطلب فهم العطف بها دقة في الإدراك.

وسبب ذلك أنها لا تدل إلا على مطلق الجمع والاشتراك، أما غيرها من أحرف العطف فتفيد مع الاشتراك معاني زائدة كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والترتيب مع التراخي في «ثم» وهلم جرا.

مواضع الفصل: يجب الفصل في ثلاثة مواضع:

1. أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى، أو بيانا لها، أو بدلا منها. ويقال حينئذ إن بين الجملتين «**كمال الاتصال**».

أ- فمن أمثلة الفصل الذي **تكون فيه الجملة الثانية توكيدا للجملة الأولى** قول الشاعر:

[1] الدنا: جمع دنيا، والسابح: الفرس السريع الجري، يقول: سرج الفرس أعز مكان لأن صاحبه يجاهد عليه في طلب المعالي، والكتاب خير جليس لأنه مأمون الأذى.

يهوى الثناء مبرّز ومقصر * حب الثناء طبيعة الإنسان**

فالبيت هنا يشتمل على جملتين، وإذا تأملناهما وجدنا بينهما اتحادا تاما في المعنى، فالجملة الثانية وهي «حب الثناء طبيعة الإنسان». لم تجئ إلا توكيدا للأولى وهي جملة «يهوى الثناء مبرز ومقصر»، فإن معنى الجملتين واحد.

ب- ومن أمثلة الفصل الذي **تكون فيه الجملة الثانية بيانا للجملة الأولى** قول الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم**

فإذا تأملنا جملتي هذا البيت وجدنا بينهما اتحادا تاما في المعنى، فالجملة الثانية وهي «بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم» لم تأت إلا لإيضاح إبهام الأولى وهي «الناس للناس من بدو وحاضرة» فهي بيان لها.

ج- ومن أمثلة الفصل الذي **تكون فيه الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى** قوله تعالى:

﴿ **أَمَدَّكُمْ بما تَعْلَمُونَ. أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾.

فالتأمل في الآية الكريمة يظهر أن بين جملة أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ وجملة أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ كمال الاتصال، ذلك لأن الجملة الثانية بدل بعض من كل من الجملة الأولى، إذ الأنعام والبنون والجنات والعيون بعض ما يعلمون.

2 - والموضع الثاني من المواضع التي يجب فيها الفصل بين الجمل أن يكون بين الجملتين «تباين تام»، وذلك بأن تختلفا خبرا وإنشاء، أو بألا تكون بينهما مناسبة ما، ويقال حينئذ إن بين الجملتين «**كمال الانقطاع**».

أ- فمن الأمثلة التي يجب فيها **الفصل بين الجملتين لاختلافهما خبرا وإنشاء** قول الشاعر:

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا**

فبين الجملة الثانية والأولى في هذا البيت تمام التباين وغاية الابتعاد، لاختلافهما خبرا وإنشاء، وذلك لأن الجملة الأولى إنشائية والثانية خبرية، ومن أجل ذلك تعين الفصل بينهما.

ب- ومن الأمثلة التي يجب فيها **الفصل بين الجملتين لعدم وجود مناسبة بينهما** قول القائل: «كفى بالشيب داء صلاح الإنسان حفظ الوداد» «**السماء ممطرة عليّ يغدو إلى عمله مبكرا**»، وكقول الشاعر:

وإنما المرء بأصغريه * كل امرئ رهن بما لديه**[1]

1 الأصغران: القلب واللسان، ورهن بما لديه: يجازى بما عمل.

فبين الجملة الثانية هنا والجملة الأولى تمام التباين ومنتهى الابتعاد، لأنه لا مناسبة بينهما مطلقا، إذ لا رابطة في المعنى بين قوله: «وإنما المرء بأصغريه» وقوله: «كل امرئ رهن بما لديه» ففي جميع هذه الأمثلة والأمثلة التي تختلف فيها الجملتان خبرا وإنشاء نجد الجملة الثانية مفصولة عن الجملة الأولى، ولا سر لذلك إلا كمال التباين

وشدة التباعد، ولذلك يقال في هذا الموضع من مواضع الفصل إن بين الجملتين «**كمال الانقطاع**».

3. والموضع الثالث من المواضع التي **يجب فيها الفصل بين الجملتين هو أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الأولى**، ويقال حينئذ إن بين الجملتين «**شبه كمال الاتصال**».

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُ ا لا تَخَفْ**﴾[1]، ففي هذه الآية الكريمة فصلت جملة قالُوا لا تَخَفْ عن جملة وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً لأن بينهما شبه كمال الاتصال، إذ الثانية جواب لسؤال يفهم من الأولى، كأن سائلا سأل: فماذا قالوا له حين رأوه قد أحس منهم خوفا؟ فأجيب «قالوا لا تخف».

ومن أمثلة هذا النوع من الفصل أيضا قول الشاعر:

يقولون إني أحمل الضيم عندهم * أعوذ بربي أن يضام نظيري**[2]

فبين جملة «أعوذ بربي أن يضام نظيري» وجملة «يقولون إني أحمل الضيم عندهم» شبه كمال الاتصال، لأن الثانية جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فكأن الشاعر بعد أن أتى بالشطر الأولى من البيت أحس أن سائلا يقول له: «وهل ما يقولونه من أنك تتحمل الضيم صحيح؟» فأجاب بالشطر الثاني.

ففي هذين المثالين نرى أن الجملة الثانية في كليهما مفصولة من الأولى، ولا سبب لهذا الفصل إلا قوة الرابطة المعنوية بين الجملتين، فإن الجواب شديد الارتباط بالسؤال، فأشبهت الحال هنا من بعض الوجوه حال «كمال الاتصال» السابقة الذكر. ومن أجل ذلك يقال إن بين الجملتين «**شبه كمال الاتصال**».

مواضع الوصل: ويجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع أيضا:

---

1 أوجس منهم خيفة: أحس منهم خوفا.

2 الضيم: الذل، وضامه يضيمه بفتح ياء المضارعة: أذله يذله.

أ- **إذا أريد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي**، فإذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد تشريك الثانية لها في هذا الحكم فإنه يتعين عطف الثانية على الأولى بالواو، تماما كما يعطف مفرد على مفرد بالواو لاشتراكهما في حكم إعرابي واحد.

أنت أيقظتني وأطلعت عيني * على عالم من السر أخفى**

في البيت الأول الجملتين «أيقظتني» و«أطلعت عيني على عالم من السر أخفى» تجد أن للجملة الأولى موضعا من الإعراب لأنها خبر للمبتدأ قبلها، وأن الشاعر أراد إشراك الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي، أي أراد أن تكون خبرا ثانيا للمبتدأ، ولهذا تعين عطف الثانية على الأولى بواو العطف.

وما زلت مذ كنت تولي الجميل * وتحمي الحريم وترعى النسب**

وإذا تأملت الجملتين «تولي الجميل» و«تحمي الحريم» في البيت الثاني وجدت أن للأولى موضعا من الإعراب، لأنها خبر للفعل الناسخ «ما زال» وأن الشاعر أراد هنا أيضا إشراك الثانية وهي «تحمي الحريم» للأولى في حكمها الإعرابي، أي أراد أن تكون خبرا ثانيا للفعل «ما زال»، ومن أجل ذلك تعين وصل الجملة الثانية بالأولى بواو العطف.

ب- **ويجب الوصل بين الجملتين إذا اتفقتا خبرا أو إنشاء، وكانت بينهما جهة جامعة، أي مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما.**

1 - **قال تعالى:** ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.

2 - **ديارهمو انتزعناها انتزاعا *** وأرضهمو اغتصبناها اغتصابا**

3 - **وما كل فعّال يجازى بفعله *** ولا كل قوّال لديّ يجاب**

4 - **فلا تترك الأعداء حولي ليفرحوا *** ولا تقطع التِّسْآل عني وتقعد**

5 - **فليتك تحلو والحياة مريرة *** وليتك ترضى والأنام غضاب**

ففي الأمثلة الثلاثة الأولى هنا اشتمل كل مثال منها على جملتين متحدتين خبرا متناسبتين في المعنى وليس هناك من سبب يقتضي الفصل، ولذلك عطفت الجملة الثانية على الأولى في كل منها بواو العطف.

وفي الأمثلة الأخيرة اشتمل كل واحد منها على جملتين متحدتين إنشاء متناسبتين معنى، وليس هناك من سبب أيضا يقتضي الفصل، ولذلك عطفت الثانية على الأولى.

وهكذا يجب الوصل بين كل جملتين اتحدتا خبرا أو إنشاء، وتناسبتا في المعنى، ولم يكن هناك مانع من العطف.

ج- **ويجب الوصل بين الجملتين إذا اختلفتا خبرا وإنشاء وأوهم الفصل خلاف المقصود.**

وتتمثل شواهد هذا النوع من الوصل في الإجابة بالنفي على سؤال أداته «هل» أو «همزة التصديق» مع التعقيب على جملة الجواب المنفي بجملة دعائية، ومن أمثلة ذلك:

1 – لا ولطف الله به. تقول ذلك في جواب من سألك: هل تحسنت صحة صديقك؟

2 – لا وحفظك الله. تقول ذلك في جواب من سألك: ألك حاجة أقضيها لك؟

ف «لا» في هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية تقديرها في المثال الأولى «لم تتحسن صحته» وتقديرها في المثال الثاني «لا حاجة لي»، وكل من جملتي «لطف الله به» و«حفظك الله» جملة دعائية إنشائية، وقد كان الأمر يقتضي هنا الفصل بين الجملتين لاختلافهما خبرا وإنشاء، فيقال في المثال الأول «لا لطف الله به» وفي الثاني «لا حفظك الله». ولكن الفصل على هذه الصورة يجعل السامع يتوهم أنك تدعو عليه في حين أنك تقصد الدعاء له. ولذلك وجب العدول هنا عن الفصل إلى الوصل. وكذلك الحال في كل جملتين اختلفتا خبرا وإنشاء وكان العطف بينهما يوهم خلاف المقصود.